نشأة علم الحديث وتطوره في شبه القارة الهندية

The Growth and Development of Hadith & its Sciences In Indo Pak Sub-Continent

الدكتور محمد أنور بن محمد غني[i]

Abstract

Hadith is the second important source of Islamic Law after the Qur'an. There is a consensus among the Muslims that Sunnah is the second revealed fundamental source of Islamic sciences. Due to the importance of these fundamental sources, Muslim Scholars around the world have played an important role in the development of Hadith sciences.The Muslim Scholars of India have played and still playing very important role in the development of Hadith Sciences.In the opinion of the late "Allama Rashid Rida of Egypt" Indian Muslims have played the leading role in the diffusion and dissemination of Hadith learning in the world to-day. As a matter of fact, according to him, but for the painstaking labour of the Indian Muslims towards the cultivation of the Sciences of al-Hadith, it would have well-nigh died down. If the achievement of the moribund Muslim India, when she has fallen on evil days after the loss of her political power, has been such, it behoves us well to take stock of what our noble forefathers did for the cultivation of the sciences in general, and Islamic sciences in particular, during their palmy days which lasted for the better part of a thousand years. This research article is to give an overview of the history of Hadith and its Sciences (The growth and Development) and what Indians Muslims Scholars have contributed towards Hadith and its Sciences from the beginning of Muslim History down to the 20th Century.

Key words

Sunnah, Hadîth, Hadîth's Sciences, Development, Subcontinent

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وخاتمهم؛ محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.أما بعد:

فإنّ الحديث النبوي هو من أعظم العلوم والفنون مكانة، وأحقها وأولاها بالتعلّم والتعليم؛ لكونه الأصل الثاني للتشريع الإسلامي بعد كلام الله سبحانه وتعالى، ولكونه وسيلة لمعرفة وفهم كلام الله المجيد،

i أستاذ مساعد بمركز الشيخ زايد الإسلامي جامعة بشاور

ولأنّ عليه مدار أكثر الأحكام الفقهية.

ولعلماء شبه القارة الهندية جهود مشكورة ومساهمة كبيرة في خدمة الحديث وعلومه معترف بها لدى علماء العالم الإسلامي. حيث قال الشيخ رشيد رضاصاحب مجلة "المنار" –رحمه الله–، في مقدمة كتاب "مفتاح كنوز السنة" معترفا بجهود علماء الهند لخدمة علم الحديث في هذه العصور: "لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعف في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة[1].

وقال الشيخ عبد الفتّاح أبو غدّة:

> " فقد ألّف العلماء كتبا كثيرة في علوم الحديث الشريف وقواعده، وتفنّنوا فيها غاية التفنّن حتى كاد الواقف عليها يقول: إنّهم استوفوا فيها كل شيء فلم يتركوا زيادة لمستزيد، أو ثغرة لمستدرك أو متعقب. لكن سرعان ما يتبدّد هذا عندما نقف بين حين وآخر من هذا العصر على آثار إخواننا علماء الهند وباكستان في هذا العلم الشريف. فنجد لديهم الجديد والمفيد، والنادر الفريد[2]."

إن علم الحديث في شبه القارة الهندية – منذ نشأته إلى عصرنا هذا–، قد مرّ بأطوار مختلفة، كغيره من العلوم. فقد نشأ ونما في حين، وضعف في حين آخر، وضعف في مكان ونما في مكان آخر، وقد بعث الله من حين لآخر رجالا قدموا جهودا قيمة لبعث وتطور علم الحديث، تعيد إليه قوته، وتدفع عنه أخطار ضعفه وفنائه تحقيقا لوعد الله تعالى بحفظ هذا الدين.

ويأتي هذا البحث ليقدم نبذة عن تاريخ علم الحديث وتطوره في شبه القارة الهندية، ويبين ما قدمه علماء شبه القارة الهندية من خدمات للحديث وعلومه.

نشأة علم الحديث في بلاد شبه القارة الهندية:

دخل علم الحديث في شبه القارة الهندية مع دخول الإسلام والمسلمين في عصر الصحابة– رضي الله عنهم–، حيث "تنورت الهند بأشعة الإسلام في عصر الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين– بجهودهم الفردية والجماعية لنشر الدعوة الإسلامية. وانتشر الإسلام في هذه المناطق على أيدي التّجار المسلمين.[(3)] "ثمّ جاء المجاهد محمد بن القاسم الثقفي في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك في سنة 93هـ/712م وفتح بلاد "السندھ" و"ملتان"، وأسس دولة إسلامية على مساحة واسعة من الهند"[4].ودخلها التابعون وأتباعهم وبعض الصحابة من العراق والبلاد العربية، وسكنوا بها وتوالدوا وتناسلوا. وفيهم محدثون الذين أخذوا الحديث ورووه بالحفظ والإتقان مدة أربعة قرون[5].

وساهموا في خدمة السنّة النبوية ونشطوا فيها وبذلوا جهودهم المشكورة لنشر علم الحديث. "وفي هذه القرون الأربعة نرى هناك نشاطا كبيرا في طلب العلم ورواية الحديث، فقد وصل إلى هذه البلاد عدد غير واحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من رجال الدين والعلم، وتتلمّذ عليهم أبناء "السندھ" كما رحل إلى البلاد الإسلامية عدد غير واحد من أهل "الهند" وتشبّعوا بعلوم السنّة"[6]. ومن أشهر المحدثين الوافدين في هذه

المرحلة: موسى بن يعقوب الثقفي، يزيد بن أبي كبشة الدمشقي ، عمرو بن مسلم الباهلي، أبو موسى إسرائيل بن موسى البصري نزيل السند ، وأبو حفص الربيع بن صبيح السعدي[7].

ومن المحلّيين: على ابن موسى الديبلي، فتح بن عبد الله السندي، أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي ،أبو العباس أحمد بن عبد الله بن سعيد الديبلي ، إبراهيم بن محمد الديبلي ، أحمد بن محمد أبو العباس المنصوري ، خلف بن محمد الديبلي ، أبو محمد عبد الله بن جعفر المنصوري، أبو القاسم شعيب بن محمد بن أحمد الديبلي ، وغيرهم.[(8)] رحمهم الله جميعا.

اشتهرت في هذه القرون بعض مدن "السنده" و"ملتان" كمدينة "ديبل"و"المنصورة"و"قصدار"كمراكز علم الحديث النبوي.[(9)]

"وقد أضرت الخلافات السياسيّة والعصبيات القبائليّة، ثمّ فتنة الباطنيّة الإسماعيليّة؛ الحركة الدينيّة والإصلاحيّة العلميّة في هذه المناطق، ولذلك بلغت حركة السنّة إلى منتهى الضعف في أواخر القرن الرابع وندر وجود الرواة والمحدّثين في القرن الخامس في بلاد "السنده" و"ملتان".[(10)]

ضعف علم الحديث في شبه القارة الهندية:

يرجع فضل دخول الإسلام الهند مرة ثانية من طريق ممر خيبر إلى السلطان ناصر الدين سبكتگين ، وابنه السلطان محمود الغزنوي. وأخضع لحكمه جزءا كبيرا من أقطاع الهند سنة 410هـ، واختار مدينة لاهور عاصمة لبلاده المفتوحة من الهند. فصارت لاهور مركز العلوم والثقافات ومقر العلماء والمشائخ. وأوّل من أدخل علم الحديث إلى لاهور هو الشيخ إسماعيل اللاهوري.[(11)] وكان السلطان محبا للعلم والعلماء، ولذلك اجتمع في بلاطه عدد كبير من أصناف العلماء الذين ساهموا في نشر العلم. ثم تتابع الأمراء والسلاطين الذين حكموا على الهند وفي العهد الغوري فتحت "دهلي" وصارت عاصمة الهند؛ فانتقلت سيادة العلم من لاهور إليها. وكان موقف العلماء من السنّة النبوية الإضراب عنها والاشتغال بعلوم اليونان وفنون الأدب والشعر والتمسُّك بالمذهب الحنفي والتعصب له والجمود عليه. لذلك حركة السنة كانت ضعيفة جدا في هذه العصور.[(12)]

يقول الشيخ العلامة عبد الحي الحسني– رحمه الله– في موقف العلماء من علم الحديث في هذه العصور:

> "ولما انقرضت دولة العرب من بلاد السند، وتغلبت عليها الملوك الغزنوية والغورية، وتتابع الناس من خراسان وما وراء النهر صار الحديث فيها غريبا كالكبريت الأحمر وعديما كعنقاء المغرب، وغلب على الناس الشعر والنجوم والفنون الرياضية، وفي العلوم الدينية الفقه والأصول ... وكان قصارى نظرهم في الحديث (مشارق الأنوار للصغاني) فإن ترقَّع أحد إلى مصابيح السنّة للبغوي، أو إلى مشكاة المصابيح ظنّ أنه وصل إلى درجة المحدثين، وما ذاك إلا لجهلهم بالحديث".[(13)]

ومع هذا نجد هناك بعض الخدمات لسنة النبوية في هذه العصور من أشهرها:

كتاب (مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية) " ألّفه الشيخ رضيّ الدين حسن بن محمد الصغاني. جمع فيه أحاديث الصحيحين القوليّة فقط؛ فجمع فيه ألفين ومائتين وستّة وأربعين حديثا؛ ورتّبه بترتيب أنيق جعله اثني عشر بابا. وقد شرح عليه كبار العلماء وأدخله أهل الهند في المنهج التعليمي وصار مرجعهم ومصدرهم في عصر انقراض السنّة في الهند. [14]

وأذكر هنا بعض علماء الحديث الذين رفعوا لواء علم الحديث، واشتهروا في هذه العصور على سبيل المثال لا الحصر: مثل الشيخ أبو الحسن علي بن عمر بن الحكيم اللاهوري، والإمام المحدث أبو الفضل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني اللاهوري، والشيخ نظام الدين البدايوني. وقد ساهم كل واحد منهم في خدمة السنة تدريسا أو تأليفا، وكانت شخصياتهم المؤثرة من المغتنمات في هذه القرون التي بلغت حركة السنة فيها إلى منتهى الضعف. وكان لجهودهم أثر طيب في ازدهار حركة السنة النبوية في بلاد الهند وخارجها. فجزآهم الله خير الجزاء، وجعل جهودهم في ميزان حسناتهم.

نهضة علم الحديث مرة ثانية في شبه القارة الهندية:

عرفنا مما سبق أن حركة علم الحديث قد ضعفت في أواخر القرن الرابع. ولم يزل على تلك الحالة حتى جاء القرن العاشر. ومنّ الله على بلاد الهند بإفاضة علم الحديث، وقيّض لها من العلماء من جدّد حركة السنة النبوية وأحياها وانتهى إليهم تدريس هذا الفن والقيام بنشرها حتى أصبحت هذه البلاد مركزا لعلم الحديث في القرن العاشر وما بعده. وسأذكر بعض هؤلاء العلماء؛ الذين اشتهرت جهودهم لخدمة علم الحديث بالاختصار على سبيل المثال لا الحصر؛ لأنّه لا يمكن استيعاب جميع العلماء وكلّ جهودهم بل جلّها. وبالله التوفيق.

المحدثون المشهورون في هذه القرون وخدماتهم لعلم الحديث:

من المحدثين المشهورين في هذه القرون الخمسة:

1. **الشيخ علي المتقي الهندي،** له كتاب مشهور متداول (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال). جمع فيه أحاديث الصحاح الستة، مسند الإمام أحمد، معجم الطبراني ، مسند الطيالسي، ومسند أبي داود ورتبها على ترتيب الحروف وبوّبه على الأبواب الفقهية.[15]
2. **والشيخ العلامة محمد بن طاهر بن علي الفتني**. وهو تلميذ للشيخ على المتقي المذكور. درّس وخرّج وصنّف كتباً عديدة في ذلك العلم الشريف؛ منها:

أ. **تذكرة الموضوعات** وهو كتاب حافل جمع فيه الأحاديث الموضوعة، وجمع أقوال العلماء في كل حديث. وهو كتاب مشهور ومعروف. وهو أكبر من كتاب الموضاعات للحافظ الشوكاني, و مُلّا علي القاري ، وأَوسعُ مادةً بكثير.[16]

ب. **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار** وهو أنفع الكتب وأحسنها، جمع فيه غرائب القرآن وغريب الحديث من الكتب الستّة، مشكاة المصابيح، وما أُلِّف فيه، فجاء كالشرح للصحاح الستّة، وهو كتاب متّفق عل قبوله بين أهل العلم منذ ظهر في الوجود، وللشيخ محمد طاهر منّة عظيمة بذلك العمل على أهل العلم ".[17]

ت. **المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم**: كتاب مفيد في ضبط الرجال وتعيينه؛ كما يظهر من اسمه، ورتّبه على ترتيب الحروف، قال عبد الرحمن الفريوائي : "هو كتاب جليل عظيم النفع في بابه مع صغر حجمه سهل التناول".[18]

3. **الشيخ عبد الوهاب المتقي** وهو أيضا تلميذ للشيخ علي المتقي المذكور، وأستاذ الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي،–رحمهم الله جميعا– وسيأتي ذكره. قصّر الشيخ عبد الوهاب همته على نشر السنّة النبوية، قام بجهود مشكورة في نشر علم الحديث وكان له دورا بنّاءً في ازدهار هذا العلم المبارك في عصره.

4. **الإمام أحمد السرهندي**_"وبعد انقراض دولة غوجارات (Gujarat)([19]) وانضمامها إلى حكومة دهلي في عهد (أكبر الملك المغولي)انتقل علم الحديث من "غوجارات" إلى مناطق "دهلي" و"أكبر آباد"، ثم انبثق شعاع السنّة منها إلى أطراف الهند، فقصدها علماء الهند. ولم يمض عصر اكبر الملك المغولي إلا وأسس الدين الإلهي وأجرى بعض القوانين الباطلة التي ما أنزل الله بها من سلطان. ومنّ الله على الهند بالإمام أحمد بن عبد الأحد المجدد السرهندي الذي واجه هذا الطاغوت بقوّة إيمانه وصلابة عقيدته، وجاهد بلسانه وقلمه ضد هذه الفتنة. فقضى عليه وحذر الأمة من هذا الارتداد، وجدّد ما اندرس من شعائر الله ونجا المسلمون من هذه المأساة. ودعا الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة والاجتناب عن البدع والخرافات؛ وكان لجهوده الإصلاحية أثر طيب في رجوع الناس إلى دراسة الكتاب والسنة فظهرت جماعة من المحدثين التي نشطت لنشر السنة.[20]

> "ثم قام أبناء المجدد وأحفاده بخدمة علم الحديث، ولهم جهود مشكورة في خدمة السنة تدريسا وتأليفا. من أشهرهم: الشيخ محمد معصوم بن أحمد المجدد، والشيخ محمد سعيد بن المجدد أحمد ، والشيخ محمد أعظم بن سيف الدين بن معصوم السرهندي له شرح مفيد على صحيح البخاري سماه (فيض الباري)، والشيخ فرُّخ شاه بن محمد سعيد السرهندي والشيخ سراج أحمد بن مرشد بن أرشد بن فرّخ شاه السرهندي [21]

5. **الإمام العلامة عبد الحق المحدث الدهلوي** ثم منَّ الله على الهند بالشيخ عبد الحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي، الذي قصر همّته على نشر السنّة النبوية بالدرس والتأليف أكثر من نصف قرن بكل جدّ ونشاط وإخلاص، فصنّف وخرّج ونشر هذا العلم الجليل على ساق الجد، ونفع الله به وبعلومه كثيرا من عباده المؤمنين، حتى قيل أنّه أوّل من جاء بالحديث بالهند، وهذا ليس بصحيح كما مرّ جهود

العلماء السابقين عليه. ولا شك أن لجهوده المشكورة أثر كبير في نشر السنّة النبوية في شمال الهند ومنطقة دهلي.(22)

فمن مؤلفاته في علم الحديث:

(أشعة اللمعات في شرح المشكاة) بالفارسية في أربعة مجلدات، وهو سهل التناول في ضبط الغريب وضبط المشكلات مقبول متداول، ألّفه لعامة الناس. و(لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح) بالعربية. ألّفه لعلماء الحديث والمتخصصين. وهو أجل وأعظم وأطول وأكبر تصنيفاته، و(الإكمال في أسماء الرجال والرواة المذكورين في المشكاة) و(جامع البركات في منتخب شرح المشكاة) ، وهو يشتمل على فوائد كثيرة وعوائد غزيرة، و(ترجمة الأحاديث الأربعين في نصيحة الملوك والسلاطين) و(جمع الأحاديث الأربعين في أبواب علوم الدين) و(رسالة أقسام الحديث) و(ما ثبت بالسنة في أيام السنة) و(شرح سفر السعادة) و(أسماء الرجال والرواة المذكورين في كتاب المشكاة) وله أكثر من مائة كتب في الحديث، التصوف، التاريخ والتراجم.(23)

وورثه ابنه الشيخ نور الحق بن عبد الحق، وكان وارثا لعلم أبيه حقاً. فواصل تدريس الحديث وعلومه. له مؤلفات جليلة في علوم الحديث، أشهرها: (تيسير القاري) في شرح صحيح البخاري (بالفارسية) و(منبع العلم) في شرح صحيح مسلم (لم يتمه) وشرح الموطأ وشرح الشمائل للإمام الترمذي (بالفارسية)[24] .

6. الإمام العلامة الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي

ثم جاء الله بالشيخ المحدث الأكبر ولي الله أحمد بن عبد الرحيم العمري الدهلوي، الذي قصّر همته على نشر ذلك العلم، فدرّس وأفاد ، وخرّج وصنّف، فعاد بهم علم الحديث غضا طريا بعدما كان شيئا فريا. فمن مصنفاته في علوم الحديث: (المسوّى) في شرح الموطأ للإمام مالك (بالعربية)، و(المصفّى) شرح آخر للموطأ (بالفارسية)، و(شرح تراجم أبواب صحيح البخاري)، و(الفصل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين)، و(النوادر من حديث سيّد الأوائل والأواخر) وله غيرها، وأعطى الإمام وتلاميذه أهمية خاصة لتدريس الحديث في مقابل الفلسفة والمنطق وعلم الكلام. وانتشرت حركة السنّة حتى أحاطت البلاد والأمصار، وبلغ تلاميذه في جميع النواحي والأقطار، وقاموا لنشر علوم الدين وإشاعة السنّة النبويّة، وواصلوا جهودهم ، واجتهدوا في ترويج علوم الحديث وتبليغها في شبه القارة الهندية، منهم أبناؤه الكرام الأربع، والشيخ العلامة محمد معين السندي صاحب (دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب) والعلامة القاضي ثناء الله ؛ صاحب (التفسير المظهري) سيأتي ذكره، وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ، وكان كل واحد منهم إمام زمانه في غزارة العلم وملازمة التقوى ونهاية في الورع والزهد رأسا في التحقيق والإتقان قد أشرب في قلوبهم حب الحديث وإتباعه، وقد نفع الله بهم وبعلومهم كثيرا من عباده المؤمنين ونفى بسعيهم المشكور من فتن الإشراك والبدع ومحدثات الأمور في الدين ما ليس بخاف على من العالمين".(25)

7. **القاضي ثناء الله الباني بتي** : أخذ علم الحديث من الشيخ ولي الله الدهلوي. له كتاب مبسوط في مجلدين في الحديث. وكثرة تخريج الحديث في تفسيره (تفسير المظهري) تشهد له بطول الباع في علم الحديث. ولقّبه الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي ببيهقي الوقت نظرا إلى تبحره في الفقه والحديث.(26)

8. **الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي** :أخذ علم الحديث في مدرسة أبيه وتولّى مسند أبيه، وقصر همّته على الدرس والتدريس والإفادة والإرشاد. وامتاز من بين إخوته الكرام بمزيد الاعتناء بعلوم الحديث والقرآن وسبقهم. وتخرج عليه خلق وانتفع به عدد لا يحصى. وله مؤلفات جليلة قيّمة من أشهرها في علوم الحديث: (بستان المحدثين) في ذكر المحدثين وكتب الحديث، بالفارسية . و(العجالة النافعة) في مصطلح الحديث .(27)

9. **الشيخ محمد إسحاق المحدث الدهلوي**: نشأ الشيخ محمد إسحاق بن أفضل في أسرة عريقة في العلم والدين. وتصدّر للتدريس على مسند الشاه عبد العزيز المذكور في حياته. وقد تخرّج على يده عدد كثير لا يحصى؛ حتى لم يبق في الهند سند الحديث غير هذا السند. وأكثرهم نبغوا في الحديث. وهاجر في آخر عمره إلى مكة المكرمة، واستخلف المحدث السيد نذير حسين الدهلوي مسنده.(28)

10. **السيد محمد نذير حسين الدهلوي**:درس الكتب من جميع العلوم المتداولة اثنتي عشر سنة. ثم غلب عليه حب تدريس القرآن والحديث ، فترك اشتغاله بما سواهما إلا الفقه، فاشتغل بتدريس هذه العلوم الثلاثة إلى آخر عمره . وقصّر همته على نشر السنة ودرّس وأفاد بدهلي، انتفع بعلومه خلق كثير من العرب والعجم لا يحصى عددهم، وانتشر تلامذته في جميع أقطاع الأرض من الهند والعرب وغيرهما. وصنّف تصانيف مفيدة أشهرها (معيار الحق) تشهد له بطول الباع في العلوم والإطلاع على الكتب وتدلّ على تبحّره وسعة نظره وكثرة مطالعته وجودة حفظه ودقة فهمه وإصابة فكره، وانتهت إليه رياسة الحديث في الهند، وحصل له من الشرف والفضل ما لم يحصل لأحد ممن عاصره، وبلغ من العلى والرفعة ما لم يبلغ غيره من معاصريه.(29)

عدا ما ذكرت من الأئمة الحديث الأجلاء، ممن يرجع إليهم الفضل في نشر علم الحديث في بلاد الهند، وأطبق على فضلهم علماء الآفاق، وسارت بمصنفاتهم الرفاق، هم : الشيخ عبد الأول الجونبوري صاحب (فيض الباري شرح صحيح البخاري) ، والشيخ عبد النبي بن أحمد الگنگوهي، والشيخ أبو الحسن السندي الكبير،صاحب الحواشي على الكتب الحديثية الستة، والشيخ محمد أفضل السيالكوتي، والشيخ سلام الله بن شيخ الإسلام صاحب (المحلّى) شرح الموطأ، والشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي صاحب (إنجاح الحاجة) والشيخ أحمد علي بن لطف الله السهارنبوري صاحب التعليق على الجامع الصحيح للإمام البخاري، ومولانا عبد الحي اللكنهوي، له تعليقات على موطأ الإمام محمد (التعليق الممجد على موطأ محمد)، وشرح

على مختصر الجرجاني(ظفر الأماني في شرح المختصر المنسوب للجرجاني في المصطلح)، ومصنفات أخرى في الحديث وعلومه من أشهرها (الرفع والتكميل في الجرح والتعديل)، والسيد صديق حسن خان القنوجي ، صاحب المؤلفات كثيرة، منها (عون الباري شرح تجريد شرح البخاري) و(مسك الختام شرح بلوغ المرام) بالفارسية، وغيرها. والشيخ العلامة رشيد أحمد الگنگوهي صاحب (الكوكب الدري) شرح جامع الترمذي. والشيخ شمس الحق الديانوي صاحب (غاية المقصود) و(عون المعبود) شرحي سنن أبي داود، والشيخ وحيد الزمان صاحب تسهيل القاري شرح صحيح البخاري بالأردية، والشيخ خليل أحمد السهارنبوري صاحب (بذل المجهود) شرح سنن أبي داود، والشيخ محمود حسن الديوبندي ، والشيخ محمد أنور شاه الكشميري صاحب العرف الشذي شرح جامع الترمذي، والشيخ عبد الرحمن المباركفوري صاحب تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي. فهؤلاء فئة قليلة من محدثي الهند. وقد لعبوا دورا بارزا في نشر الدعوة الإسلامية وخدمة السنة النبوية، وساهموا في نشر العقيدة والدين والسنة مساهمة كبيرة.(30)

إن الهند قد سبقت بلدان العالم الإسلامي في ظهور النهضة الجديدة للحديث الشريف وعلومه، وما زال اعتناء علمائها بأمهات كتب الحديث أكثر من غيرهم في كل مكان.

ويلخص السيد سلمان الحسيني الندوي هذه النهضة في كلامه البليغ فيقول:

"بدأت هذه النهضة من أيام الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، ثم فترت إلى أن أعاد الإمام ولي الله الدهلوي، للحديث مكانته، ورفع منارته، فقامت نهضة عظيمة حمل لواءها أبناءه وأحفاده وتلامذته وأتباعه، قامت على أثرها مدارس إسلامية كبيرة، جعلت "دورة الحديث" كما يسمونها مرحلة الدراسة الشرعية النهائية، تدرس فيها الكتب الستة وغيرها من الموطأ وشرح معاني الآثار للطحاوي، ونفقت بها سوق الحديث في الهند، وألف علماؤها شروحاً مستفيضة كبيرة لكتب الصحاح والسنن ، أصبحت هي المرجع في الشروح الحديثية، كـ"عون المعبود في شرح سنن أبي داود"، "وتحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي"، و"بذل المجهود في شرح سنن أبي داود"، و"أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك"، و"معارف السنن" شرح سنن الترمذي، و"لامع الدراري شرح صحيح البخاري"، و"فتح الملهم في شرح صحيح مسلم" وغير هذه من الكتب الضخمة الكبيرة التي قامت بخدمة الحديث الشريف خير قيام[31]"

علم الحديث ودار العلوم ديوبند

يجدر بنا ونحن نتكلم عن تاريخ علم الحديث في شبه القارة الهندية أن أقدم نبذة عن جهود دار العلوم ديوبند المقدمة في تطور علم الحديث.

وضع الشيخ نظام الدين الأنصاري منهجا للعلوم العربية والإسلامية الذي اشتهر بالدرس النظامي، ركّز فيه على علم الصرف، النحو، المنطق، الفلسفة اليونانية، الفقه وأصوله، وعلم الكلام. ولم يعط علم الحديث ما يستحقه من الاهتمام. ولم يجد كتب الحديث وعلومه مكانا مناسبا في هذا المنهج إلا كتاب واحد وهو مشكاة المصابيح لولي الدين الخطيب العراقي[32].

واستمرّ تدريس هذا المنهج طوال حكم المسلمين المغول في الهند حتى استولى الإنجليز على الحكم الهندي فهدم هذا النظام وأعلن تغيير نظام التعليم عام 1835م وأخرج المواد الدينية من المنهج، وكان هدفهم من ذلك القضاء على الثقافة الإسلامية ونشر الثقافة الإنجليزية الغربية.([33])

وأدرك علماء الهند على هذه الخطوة الماكرة وخافوا على اندراس العلوم الدينية والقضاء عليها فبدؤوا بإنشاء مدارس غير رسمية. ففي عام (1867م) أسس الشيخ محمد قاسم نانوتوي مدرسة بمدينة "ديوبند" المسماة بـ"دار العلوم ديوبند" وأسس الشيخ سعادت علي مدرسة بمدينة "سهارنفور" المسماة بـ"مظاهر العلوم" وإلى يومنا هذا تخدم هاتان مدرستان لعلوم الحديث وأغنى الطلاب عن الذهاب إلى خارج البلد. وغير هاتين المدرستين الكثير من المدارس والحلقات بدأت تنتشر بجوار المساجد في بلاد الهند، واستمر تدريس المنهج النظامي في هذه المدارس مع التركيز على السنة النبوية وعلومها، وأضافت دار العلوم مرحلة التكملة في علوم الحديث النبوي الشريف. يلزم الطالب بدراسة الصحاح الستة وغير ها من كتب السنة. وهذه التعديلات التي أحدثتها دار العلوم ديوبند في منهج الدرس النظامي تعتبر من أهم التعديلات، بنسبة علم الحديث[34].

فصار منهج دار العلوم ديوبند للحديث وعلومه على النحو التالي:)مقرر الحديث	موطأ الإمام مالك، الكتب الستة ، مشكاة المصابيح، شمائل الترمذي
مقرر علوم الحديث	نخبة الفكر للحافظ ابن حجر

استقلال باكستان وتطور علم الحديث

استمر تطور علم الحديث النبوي في شبه القارة الهندية على أيدي العلماء الربانيين جيلا بعد جيل. ولما استقلت جمهورية باكستان الإسلامية، هاجر كثير من العلماء إلى باكستان واستمروا بخدمة الحديث وعلومه من أمثال الشيخ شبير أحمد العثماني ، صاحب فتح الملهم شرح صحيح مسلم وفضل الباري شرح صحيح البخاري بالأردية. والشيخ المفتي محمد شفيع العثماني، والشيخ ظفر أحمد العثماني، صاحب إعلاء السنن والشيخ عبد الحق في زمرة العلماء الأجلاء الآخرين بخدمة الحديث وعلومه.

وكانوا يتوقعون من الدولة المسلمة الناشئة إقامة مدارس إسلامية تُدرس فيها المناهج العصرية والإسلامية جنبا إلى جنب. لكن ييأسوا من الواقع التعليمي الذي لم يتغير، لذلك قرروا إنشاء مدارس أهلية على نمط "دار العلوم ديوبند" و "مظاهر العلوم بسهارنبور" في كل أرجاء البلد. حيث كان هؤلاء العلماء من كبار أساتذة المدارس في الهند قبل التقسيم بل كان بعضهم يشرف على مدارس في الهند. ومن هنا نقلوا تلك المدارس إلى باكستان أو أسسوا مدارس على غرارها في الدولة الجديدة.وطبقوا فيها المنهج الدراسي الذي كان مطبقا في "دار العلوم ديوبند" مع بعض التعديلات الخفيفة فيه من قبل الاتجاهات الفكرية المختلفة. وتفرقوا

فأصبح لكل اتجاه فكري (من الديوبندي والبريلوي وأهل حديث والشيعة) مدارسها الخاصة به. ثم نشأت بعد ذلك خمسة تنظيمات للمدارس ولكل تنظيم منهج خاص.

وشرعت تتوسع مجالات نشأة العلوم الإسلامية، وظهر فيها عدد كبير من علماء الحديث والأساتذة البارعين، الذين قاموا بدور ملموس في تدريس الحديث وعلومه تدريسا وتأليفا. وظهر فيهم عدد من العلماء لهم مؤلفات قيمة باللغة العربية والأردية واللغات المحلية، كما أن البعض منهم قام بدور هام في فكر البلاد وسياستها، وأبرزوا للناس دراسات حديثية قيمة تعد مفخرة للمكتبات الإسلامية، وتشهد لأصحابها بالبراعة والتفوق.

الخاتمة

إن أهم النتائج التي توصلت إليها بحمد الله وتوفيقه يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

إن علم الحديث هو من أعظم العلوم والفنون مكانة وأحقها وأولاها بالتعلم والتعليم.دخل علم الحديث في شبه القارة الهندية في عصر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.لعلماء شبه القارة الهندية جهود مشكورة ومساهمة كبيرة في خدمة علم الحديث.اعترف علماء العالم الإسلامي بخدمات علماء الهند لعلم الحديث الشريف.وجد عند علماء الهند وباكستان الجديد والمفيد والنادر الفريد في علم الحديث.أول من أدخل علم الحديث إلى لاهور هو الشيخ إسماعيل اللاهوري.اشتهرت في القرون الأولى مدن "السندھ"، "ملتان"، "ديبل"، "المنصورة"، و"قصدار" كمراكز علم الحديث.مرّ علم الحديث في شبه القارة الهندية بأطوار مختلفة، فقد ضعف في حين ونما وتطوّر في حين آخر.ضعف علم الحديث في أواخر القرن الرابع بسبب الخلافات السياسية والعصبيات القبائلية وفتنة الباطنية الإسماعيلية، واستمر على تلك الحالة حتى القرن العاشر.بقي علم الحديث ضعيفا طوال حكم الملوك الغزنوية والغورية، أكثر شيء يدرس في هذه العصور في علم الحديث هو كتاب مشارق الأنوار، ومشكاة المصابيح.نما علم الحديث وتطور في القرن العاشر حتى أصبحت هذه البلاد مركزا لعلم الحديث.الشيخ أحمد السرهندي المجدد وأبناءه وأحفاده لهم جهود مشكورة في خدمة علم الحديث.بدأت النهضة في أيام الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي وابنه نور الحق،ولهما جهود مشكورة في نشر السنة في شمال الهند ومنطقة دهلي. وبالغ من قال أنه أول من جاء بالحديث بالهند.انتشرت حركة السنة في عصر الشيخ ولي الله أحمد بن عبد الرحيم وأبناءه حتى أحاطت البلاد والأمصار، واجتهدوا في ترويج علوم الحديث وتبليغها في شبه القارة الهندية.إن الهند قد سبقت بلدان العالم الإسلامي في ظهور النهضة الجديدة للحديث الشريف وعلومه، وما زال اعتناء علمائها بأمهات كتب الحديث أكثر من غيرهم في كل مكان. لم يهتم الدرس النظامي بعلم الحديث ما يستحقه من الاهتمام.يعتبر تعديلات دار العلوم ديوبند من أهم التعديلات بنسبة علم الحديث حيث أضافت مرحلة التكملة في علوم الحديث، يلزم الطالب بدراسة الصحاح الستة وغيرها من أمهات كتب الحديث.هاجر كثير من العلماء إلى باكستان بعد الاستقلال واستمروا بخدمة الحديث الشريف

وعلومه. لم تهتم الدولة الناشئة على العلوم الإسلامية، فقرر العلماء إنشاء مدارس أهلية على نمط دار العلوم "ديوبند" و"مظاهر العلوم سهارنبور" في كل أنحاء البلد.طبقوا فيها منهج "دار العلوم ديوبند" الدراسي،بل لا يزال يتبع هذا المنهج في أغلب مدارس بلاد شبه القارة الهندية.هناك خمسة اتجاهات فكرية في باكستان ولكل اتجاه مدارسه الخاصة به. وتوجد حاليا خمسة تنظيمات للمدارس ولكل تنظيم منهج خاص.

الحواشي والهوامش

1 مقدمة مفتاح كنوز السنة لمحمد فواد عبد الباقي، ص(ق). ط: إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان. (1978م)

2 مقدمة التحقيق على كتاب "قواعد في علوم الحديث لظفر أحمد العثماني ط: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة القاهرة . الطبعة السابعة 1431هـ.

3 جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة:3. لعبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي. ط إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية ، بنارس ، الهند. الطبعة الأولى 1400هـ. 1980م.

4 جهود مخلصة (ص4).

5 الثقافة الإسلامية في الهند، (ص135) للشيخ عبد الحي الحسنى. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. الطبعة الثانية 1403هـ. و"محاضرات حديث" (ص414) للدكتور محمود أحمد غازي. الفيصل ناشران، لاهور باكستان. 2012م. وعلوم الحديث،(ص670) للدكتور عبد الرؤف ظفر. نشريات لاهور باكستان. 2009م.

6 جهود مخلصة :5

7 جهود مخلصة (ص 7). *علم حديث میں برصغیر پاک وہند کا حصہ*(ص47-50) بالأردية.

8 الثقافة الإسلامية في الهند:135

9 India’s contribution to the study of Hadith p(28-44)

10 جهود مخلصة: 6

11 تذكرة علماء الهند:23

12 جهود مخلصة: 13- 14

13 الثقافة الإسلامية في الهند (ص135).

14 جهود مخلصة:16- 17

15 جهود مخلصة:29- 30

16 مقدمة تحفة الأحوذي:291

17 الثقافة الإسلامية في الهند: 157

18 جهود مخلصة:32

19 ولاية في شمال غرب الهند.

20 جهود مخلصة: 35- 36

21 جهود مخلصة37- 38

22 الثقافة الإسلامية في الهند: 137

23 محاضرات حديث:423

24 جهود مخلصة:41

25 الثقافة الإسلامية في الهند:139

26 نزهة الخواطر7: 942

27 مقدمة تحفة الأحوذي1: 51

28 نزهة الخواطر7: 911

29 مقدمة تحفة الأحوذي1: 52- 53

30 الثقافة الإسلامية في الهند:138-142

31 مقدمة الشيخ سلمان الحسيني الندوي على "مقدمة في أصول الحديث":23، 24 للشيخ المحدث الجليل عبد الحق الدهلوي رحمه الله. مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ- الهند- الطبعة الثانية 1406ه

32 *ہندوستان کی قدیم درسگاہیں*: 97- 98 لأبي الحسنات عبد الحي اللكهنوي، الندوي . طبعة وكيل بك ديبو أمر تسر الهند 1941م.

33 "*ہمارا تعلیمی نظام*"(ص75). للشيخ المفتي تقي العثماني. مكتبة دار العلوم بكراتشي-باكستان. الطبعة الأولى 1426هـ.

34 *ہندوستان کی دینی درسگاہیں*:134 للدكتور قمر الدين. و(*دارالعلوم صد سالہ زندگی*) للشيخ محمد طيب.